الفتيان التائران ، والدم يعلى فى عروقهما ، حتى دحلا على كليب الحمى ، فقال له جساس : يا أبا المهدد ، عمدت إلى ناقة حارتى فعقرتها ، فقال له كليب : أتراك مانعى أن أدب عن حماى ؟ أما أبى لو وجدتها فى غير إبل مرة لاستحللت تلك الإبل بها ، واشتد الغضب بجساس ، فعطف عليه فرسه وطعنه برمحه ، وأقبل عمرو فطعنه طعنة أخرى ، وسقط كليب .

وروّعت معد لمصرع كليب ، وانقسمت قبائلها على أنفسها ، وتفرقت شيعاً متخاصمة بعد أن كان كليب قد وحد بينها ولم شملها ، وقضى على فرقتها ، وخشيت شيبان معبة الأمر ، وأفزعتها الطعنة القاتلة التى سددها فتيان طائشان من فتيانها إلى سيدها وسيد معد كلها ، فارتحلت عن المنطقة التى خضبت رمالها دماء كليب ، وارتفعت صيحات الثأر على كل لسان ، وأسرع المهلهل أخوه من دبا اللهو التى كان يعيش فيها إلى قومه ، ليحمل على عاتقه عبء معركة الثأر الضارية ، وكان المهلهل قبل ذلك شابا مقبلا على الحياة ، متفتحالها ، مستمتعا بكل متعها التى كان يعرفها مجتمعه : الخمر والمرأة والميسر ، فنفض يديه منها ، وخلفها وراء ظهره ، وقطع ما بينه وبينها من أسباب ، وأقسم لا يقترب شيئا منها حتى يثأر لأخيه ، وآلى على نفسه ألا يقرب النساء،ولا يتم الطيب ولا يشرب الخمر، حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلاً .

أما جليله زوج كليب وأخت جساس فقد وقعت بين شقى الرحى ، لقد قتل أخوها زوجها ، واستعد أخوه لقتال قومها ، فلم تدر ما تفعل ، ولم تستطع - فى غمرة الصدمة وهول الفاجعة - أن تحدد موقفها - أتبقى مع قوم زوجها وفاء لذكراه وحفاظا على عهده ؟ أم تلحق بقومها نجاة بنفسها من الموقف الضيق الذى وضعها أخوها فيه ؟ وفى مأتم كليب اجتمعت نسوة من الحى وقلن لأختها ، رحلى جليلة عن مأتمك ، فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب . فقالت لها : يا هذه ، اخرجى عن مأتمنا فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا . وقضت جليلة فترة من الزمن تعانى صراعاً نفسيا شديداً بين البقاء والرحيل ، وهى لا تملك من نفسها شيئا ، ثم حسمت أمرها وقررت أن تلحق